التجريح على بصيرة وقابل كل قول بالقبول او الرد على حقيقة ومن
احسن مؤلفات المعتزلة المجتبى ومن احسن مؤلفات متاخري
الاشعرية المواقف العضدية وشرحها للشريف والمقاصد السعدية
وشرحها واياك ان يثنيك عن الاشتغال بهذا الفن ما تسمعه من كلمات
بعض اهل العلم في التنفير عنه والتزهيد فيه والتعليل لفائدته فانك
اذا عملت على ذلك وقبلت ما يقال في الفن قبل معرفته كنت مقلدا فيما
لا تدري ما هو وذلك لا يليق بما تطلبه من المرتبة العلية وتكون من الطبقة
الاولية بل اعرفه حق معرفته وانت بعد ذلك مفوض فيما تقول له
من مدح او قدح فانه لا يقال لك حينئذ انت تمدح ما لا تعرفه
او تقدح فيما لا تدري ما هو على انه متعلق بذلك فائدة وزيادة
بصيرة في علوم اخر كعلم التفسير وعلم تفسير الحديث فانك اذا بلغت
الى ذلك علمت ما في العلم بهذا الفن من الفائدة لا سيما عند قراءة
كشاف الزمخشري ومن سلك مسلكه فان في مباحثهم من الدقيقات الراجعة
الى علم الكلام ما لا يفهمها حق الفهم الا من عرف الفن واطلع على علم المعتزلة و
الاشعرية وسائر الفرق واني اقول بعد هذا انه لا ينبغي لعالم ان يدين
بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الوقوف
على ما تقتضيه ادلة الكتاب والسنة وامرار الصفات كما جاءت ورد علم
المتشابه الى الله سبحانه وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة
في هذا العلم المبنية على شفا جرف هار من ادلة العقل التي لا تعقل ولا تثبت
الا بمجرد الدعاوي والافتراء على العقل بما يطابق الهوى ولا سيما اذا كانت
مخالفة لادلة الشرع الثابتة في الكتاب والسنة فانها حينئذ حديث
خرافة ولعبة لاعب فلا سبيل للعباد يتعلقون به الى معرفة ما
يتعلق بالرب سبحانه وبالوعد والوعيد والجنة والنار والمبدأ والمعاد
الا

تامل قوله يتعلقون به الخ
لعل هنا سقط لعله اي قوله يتعلقون الخ

الا ما جاءت به الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم عن الله سبحانه
وليس للعقول وصول الى تلك الامور ومن زعم ذلك فقد كلف العقول
ما لم يكلفها الله منه ولم يتعبدها به بل غاية ما تدركه وحاصل ما
تصل اليه هو ثبوت الخالق الباري وان هذه المصنوعات لها صانع
وهذه الموجودات لها موجد وما عدا ذلك من التفاصيل التي جاءت
في كتب الله عز وجل وعلى السن رسله فلا تستفاد من العقل بل من ذلك
النقل الذي منه جاءت والنباية وصلت واعلم اني عند الاشتغال
بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب والنحل لم ازدد بها الا حيرة ولا
استفدت منها الا العلم بان تلك المقالات خزعبلات فقلت اذ ذاك
مشيرا الى ما استفدته من هذا العلم

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير
على انني قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسي بدون التبحر

وعند ذلك رميت بتلك القواعد من حالق وطرحتها خلف الحائط
ورجعت الى الطريقة المربوطة بادلة الكتاب والسنة المعمودة
بالاعمدة التي هي اوثق ما يعتمد عليه عباد الله وهم الصحابة ومن
جاء بعدهم من علماء الامة المقتدين بهم السالكين مسالكهم فطاحت
الحيرة وانجابت ظلمة العماية وانقشعت سحائب الجهالة وانكشفت
ستور الغواية ولله الحمد على انني ولله الشكر لم اشتغل بهذا الفن
الا بعد رسوخ القدم في ادلة الكتاب والسنة فكنت اذا عرضت
مسالة من مسائله مبنية على غير اساس رجعت الى ما يدفعها من
علم الشرع ويدفع زائفها من انوار الكتاب والسنة ولكني كنت اقول
في نفسي انه لو لم يكن لدي الا تلك القواعد والمقالات فلا اجد حينئذ